مجلة جامعة بابل / العلوم الإنسانية / المجلد 11 / العدد 1 : 2006

تنظيم الموارد المائية في العراق حتى الحرب العالمية الاولى

يحيى المعموري
كلية التربية–جامعة بابل

المقدمة:

تناولت الدراسات التاريخية باسهاب الجوانب السياسية والعسكرية ثم الاجتماعية في العراق ومنذ اقدم العصور وحتى الوقت الحاضر. الا انها نادراً ما تناولت الجوانب الاقتصادية لاسيما المتعلقة منها بالري والموارد المائية. ومن هنا جاء اختيارنا لدراسة تنظيم الموارد المائية في العراق منذ اقدم الازمنة حتى اعلان الحرب العالمية الاولى، لالقاء الضوء عن الفترة المبكرة التي بدأ فيها العراقيون القدماء في استخدام الري بشكل علمي ومنظم لايصال الماء الى الحقول الزراعية ودعم الاقتصاد الذي يعود بالرفاه الى ابناء المجتمع العراقي. واستمر اهتمام العراقيون بالري في كافة عهودهم عدا الفترات التي تعرض لها العراق للغزو والتخريب.

تناولت الدراسة ري العراق في العصور القديمة ثم في العهد الاسلامي لكل مراحله ومن ثم في الفترة المظلمة بعد احتلال بغداد على يد المغول حتى عهد السيطرة العثمانية التي تعرض فيها ري العراق للاهمال عدا الفترة العثمانية المتأخرة.

اعتمد البحث على العديد من المصادر جاء في مقدمتها مؤلفات خبير الري العراقي احمد سوسة. ارجو ان اكون قد وفقت في بحثي هذا ومن الله تستمد العون والتوفيق.

ري العراق في العصور القديمة

ان استعمال الري المستديم في العراق قديم كقدم تاريخه وعراه لا تنفصم عن ذلك التاريخ.[1] وتشير اغلب المصادر الى ان سكان العراق القدامى هم اول من استخدم الري المستديم[2] فقد عثر في منطقة نفر الواقعة بالقرب من مدينة عفك على مخطط خاص بتوزيع الانهار والاراضي الزراعية التي تستفيد منها يعود تاريخها الى العهد الكيشي قبل 3500 سنة.[3] والدليل على اهتمام العراقيين القدماء بمشاريع الري تسمية عدد من المشاريع باسماء الملوك والقادة الذين تم في عهدهم بناؤها، كخزان نبوخذ نصر وسد نمرود، وجدول العباسي الخ. بل ان من ملوك بابل من اهتم بالري بشكل استثنائي، فقد ورد في شريعة حمورابي انظمة حازمة فيما يتعلق بشؤون الري والزراعة، لا سيما المواد 42–66 حيث فرض في شريعته على كل فلاح، مهما كانت مساحة ارضه ان يطهر الترعة المارة في ارضه، ويحافظ على سدودها، ثم فرض عقوبات رادعة من أي اهمال او تخزين لمشاريع الري ان كان بشكل متعمد او غير متعمد.[4] واكد على تقنين مياه الري، وعدم هدرها، واكد على ان افضلية المياه تكون للشرب ثم للاستعمال المنزلي ثم للري.[5] وهذا دليل على ان حمورابي ادرك مدى الضر الذي ينجم من اهمال شؤون الري، وانعكاس ذلك على شؤون بلاده الاقتصادية.

وقد بذل العراقيون منذ القدم جهوداً كبيرة لدرء طغيان المياه في نهري دجلة والفرات وخزنها للافادة منها في الري وعوائق تقدم الاعداء اوقات الحروب. فاستخدموا المنخفضات الطبيعية لهذا القرض، كالثرثار والحبانية وابي دبس وعكركوش والشويجة وبحيرة الشارع.[1]

وإشارة بعض المصادر الى ان المياه كانت سبباً في اثارة خلافات سياسية حادة بين دويلات المدن السومرية. بسبب تنافسها لتوفير المياه للزراعة وتأمين الغذاء اللازم لمواطنيها. ومنهم من اتخذها وسيلة

لتخطيط الحدود بينهم. فالملك السومري انتيما اوصل المياه الى مدينة لكش بواسطة نهر الغـراف الـذي يصل دجلة بالفرات. فصار هذا النهر يمثل الحدود بين لكش واوما المتنازعين حول المياه.[2]

ولاهمية المياه عند العراقيون، فقد كانت سبباً للمنازعات بين دول الشمال ودول الجنوب، فـالحرب بن الاشوريين في الشمال والبابلين الذين يعتمدون على الاجزاء السفلى منها كانت تكمن في لسيطرة على المياه. وان عمال الري الواسعة النطاق في الشمال سببت نقصاً في الاقسام الجنوبية زمـن الصـيهود. ويرى خبير الري ويلكوكس ان بلاد الرافدين لا تنعم بالراحة الا حينما تكون تحت حكم دولـة واحـدة توزع المياه توزيعاً عادلاً.[3]

وفي مجال استخدام المياه لاغراض الدفاع ترى بعض المصادر ان مشروع النهروان القديم، كـان مقروناً بعوامل عسكرية تهدف الى منع تقدم الرومان شرقاً، فضلاً عن استخدامه في ايصال مياه دجلـة الى الاراضي الممتدة شرق هذا النهرين سامراء والكوت، قاطعاً نهر العظيم، عند حمرين حيث يزود من مياههما بسدود اقيمت على كل منهما.[4]

الري في العهد العربي الاسلامي

بعد تحرير العراق على ايدي القوات العربية الاسلامية، ابدى العرب اهتماماً متزايداً بشؤون الري، وخلفوا تراثاً علمياً حافلاً، تمثل في اقامة العديد من مشاريع الري هذه المشاريع لتي تعتمد في انجازهـا على علم واسع في طوبغرافية الارض من توزيع وتخطيط، ومسح وهندسة وعلم بالحساب والرياضيات والقياسات وعلم التربة وانواعها. فقد لعب الخلفاء الراشدون وولاتهم دوراً مهماً في انشاء العديـد مـن مشاريع الري التي شملت مختلف انحاء العراق، وتناولت حفر الانهار وشق الجداول، وفـتح القنـوات والترع وانشاء القناطر، والعناية بالتربة، وازالة الملوحة منها وهو ما نطلق عليه الان بالبزل.[1]

فقد اهتم الخليفة عمر بن الخطاب (رض) اهتماماً بالغاً في الاستفادة من مياه الرافدين في السقي، كما اكد ضرورة كري هذين النهرين وفروعهما. ان اهتمام الخليفة عمر (رض) بهـذين النهـرين والاراضـي المحيطة بهما، دفعه الى القيام باعظم عملية مسح لسهل العراق، في تلك الفتـرة، وخاصـة فـي المنـاطق الجنوبية.[2] وتم في عهده حفر العديد من الانهار في العراق منها نهر المعقل ونهر الابلة في البصرة.[3]

وفي عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) تواصلت الانجازات في مشاريع الري والتي تمثلت في حفر الانهار وشق القنوات، واقامة القناطر والجسور، ومن اشهر الانهار التي حفرت فـي عهـده نهـر الاساورة ونهر ام عمير.[4]

وقد اهتم الخليفة علي بن ابي طالب (ع) في احياء الارض وتشجيع الزراعة واقامة مشاريع الري، تمثل في حفر العديد من لاهار وقيامه بجولات ميدانية لاراضي السواد وانهاره ليتأكد بنفسه من سير اعمال الـري سيراً حسناً. ويشير اليعقوبي الى ان علياً (ع) امر واليه قرضة بن تعب الانصاري بحفر نهر لاهل الذمة.[1]

وفي العهد الاموي، استمر الاهتمام بالري، ووجهوا جهودهم نحو العراق.. فعملـوا علـى احيـاء اراضيه، واستصلاع بطائحه، وذلك باقامة العديد من مشاريع الري فيه. تجلى في حفر الانهار وشق القنوات والجداول واقامة السدود والمسنايات، واحواض المياه، وانشاء القناطر والجسـور واستصـلاح التربـة.[2] والظاهر ان اهتمامهم بالعراق يعود لاهمية مورارده لمواجهة الظروف المالية الصعبة التي واجهتهم في مطلع حكمهم. فقد بذل معاوية جهوداً كبيرة في تحسين الزراعة وتطورها، فأنشأ مشاريع ري عديدة، فاحيا بـذلك اراضي واسعة زادت من عملية الانتاج ونتيجة لهذه الاصلاحات الواسعة التي رافقتها اقامـت مشـاريع ري

استقر خراج العراق، وزاد في عهد معاوية بـ 655 مليون درهم مما كان عليه قبل تحرير العراق من الساسانيين.[3] ومن الانهار التي شقت في عهد معاوية في العراق، نهر دبيس ونهر ام حبيب، ونهر حرية ونهر مسلم ونهر مرة، معظمها في البصرة حتى اصبحت البصرة شبكة من القنوات والجداول، وانتعشت الحياة الزراعية فيها، ووصلت وارداتها في ولاية زياد بن ابيه الى ستين بليون درهم.[4]

ولعل ابرز ما نلاحظه من تطور في هذا العهد هو استخدام رؤوس االاموال الخاص، فقد شغل مسلم بن عبد الملك رؤوس امواله ليجني بذلك ربحاً وفائدة. فقام بحفر الانهار وجلب المزارعين ووفر الالات والادوات الزراعية الخاصة بذلك.[1]

واستمرت اعمال الري في عهد عبد الملك بن مروان، فعندما ولى ابنه سعيداً اعمال الموصل حفر نهراً اسماه باسمه، ثم حفر نهراً في الجزيرة الفراتية، سماه نهر سعيد الخير، وحفر كذلك نهر سلمة.[2]

ويبدو ان اكبر انجاز في هذا العهد بمجال الري، هو انشاء اكبر مشروع اروائي في الجزيرة الفراتية، وقد تجلى هذا المشروع بالخزان المائي الضخم او ما او ما اطلق عليه ((بسد مسلمة الذي اقامه على هر البليخ)).[3]

وتشير بعض الدراسات الى ان مشاريع الري بلغت اوجهاً في خلافة هشام بن عبد الملك 724-743 م، فشملت سهول الرافدين الشمالية والجنوبية، وفي خلافته اصبحت مساحات واسعة من البطائح، وقام بحفر المسنايات وعدد كبير من الانهار اشهرها نهري (الهني والمري) في الجزيرة الفراتية. ثم نهر المكشوف في الموصل، ونهر الجامع في الكوفة، كما حفر عدداً كبيراً من الانهار وفي البصرة منها نهر كثير ونهر مبارك الذي بلغت نفقات حفره اثني عشر مليون درهم.[4]

اما في العصر العباسي، فقد استمر الاهتمام، بالموارد المائية وتنظيم الري ووجه خلفاؤهم رعايتهم وعنايتهم بالانهار والقنوات المتفرعة من الرافدين. فقد حفر ابا جعفر المنصور حين بنى بغداد نهر الدجيل ليسقي القرى التي يمر بها غرب دجلة.[1] ثم اعاد العباسيون تخطيط داول الفرات بين الفلوجة والهندية، استفادوا منها في لري. وايصال مياه الفرات الى دجلة وخاصة نهر عيسى والصقلاوية والملك. وأحيوا جداول غرب دجلة مثل الاسحاقي لتصريف مياه دجلة الى عكركوف، وصلوا مياه الزاب الصغير الى نهر العظيم بواسطة جدولي الفيل والعباسي ١. ومياه الفرات عند رافد الخابور الى نهر الثرثار الذي يصب في منخفض الثرثار.[2]

ونظراً لوحدة الدولة وسيطرتها على حويض الرافدين، فقد بلغت الاستفادة من المياه، ذروة ازدهارها، وصار تنظيمها وتوزيعها يستند الى اسس علمية. فأنشأوا لها ديواناً خاصاً هو (ديوان الماء) يهدف الى اخضاع هذه الموارد الى رقابة الدولة.[3] وتوضح وصية ابي يوسف قاضي قضاة بغداد، الى هارون الرشيد، مدى الاهتمام بالري، حيث يؤكد ان من واجب الحكومة انشاء الجداول واصلاحها على نفقتها بالتعاون مع السكان، وتوزيع المياه بشكل عادل وتشكيل شرطة ذات كفاءة عالية، للاشراف على الانهر الملاحية فيها، بل انهم كانوا يراقبون ناسيب المياه ويسجلونها بوساطة مقاييس ينصبوها على نهر دجلة في بغداد وعلى الفرات في الانبار.[4]

هذا وقد صنفوا الكتب التي تناولت مدى الافادة من المياه وأسس الري وقواعده مثل كتاب ((انماط المياه الخفية)) لمحمد حسن الكاتب الكرطي.[1]

مما تقدم يمكن القول ان اعمال الري في العهد العباسي وصلت الى درجة عالية من الرقي والتقدم، دليلنا على ذلك ما ذكره خبير الري المعروف ولكوكس ((ان اعمال الخلفاء في العهد العباسي في العراق

تشبه اعمال الري في مصر والولايات المتحدة واستراليا في هذا العصر)) ثم قال ((ان العراق ليس بحاجة الى تخطيط جديد لشق الترع وفتح الجداول فان الاثار الباقية من الدور العباسي كافية لتنظيم الزراعة والري في العراق)).[2]

وفي الفترة العباسية المتأخرة أهملت شؤون الري بسبب ضعف الدولة وتسلط الاجانب عليها. ففي فترة امرة الامراء (935 م–942 م) اهملت الفرات وخربت البلاد نتيجة لمنازعات والحروب بين الامراء الطامعين، ونتيجة فوضى الجند فقد ضرب ابن رائق نهر ديالى وكان سبباً في بثق نهر النهروان مما ادى الى تدمير المزروعات.[3]

وفي عهد السيطرة السلجوقية 1055 م–1179 م، زادت احوال نظم الري سوءاً وخرباً، ويكفي ان نشير الى ان جيش السلاجقة في اعتداءه على بغداد سنة 1157 م خرب فيها (770) دولاباً.[4]

واسهمت الحروب بين امراء البويهيين والسلاجقة الى تخريب مشاريع الري، وخاصة النهروان الذي اندرس بشكل نهائي في القرن الثالث عشر، وعاد ديالى الى مجراه ليصب في دجلة جنوب بغداد، دون الافادة من مياهه.[1]

ري العراق بعد انتهاء الحكم العربي الاسلامي في العراق:

وضع العراق بعد دخول هولاكو بغداد وسقوط الحكم العربي عام 1258 م لسيطرة اقوام اجنبية مختلفة بدءاً بالمغول الذين دمروا في ايام ما تعب الناس في نباءه في الوف السنين فتحطم الاقتصاد العراقي ودمروا مشاريع الري، وتركوا الزراعة مجرد خراب. فنزلت الضربة الكبيرة بمنشئات الري التي كانت قائمة في البلاد فما ان جاءت الغزوات المغولية حتى اهملت السدود وراحت المياه تجري لطبيعتها دون ما رقيب او منظم، فنتج عن ذلك تراكم ترسبات الطمى في الجداول والفروع، كما ادى ذلك الى جرف السدود وغمر المنخفضات، فتشكلت بذلك اهوار واسعة كانت السبب في خراب اقتصاد العراق.[2] وكانت اعظم الاعمال التخريبية التي ارتكبها هولاكو هي التخريب المتعمد في السدود والانهار والنواظم التي كان تشييدها المحكم منذ القدم المصدر الرئيس للثروة في البلاد. وقد تعذر القيام باصلاح تلك التخريبات بسبب استمرار الاضطرابات في البلاد وفقدان روح العمل بين الاحياء من سكان القليلين بعد تلك المذابح و التخريبات الهائلة. وهو الامر الذي ادى اخيراً الى اهمال الانهار وتردي الحالة في مجاريها من جراء تراكم الغرين وتكاثر الطمى. بحيث اصبحت الانهر مطمورة لاتستوعب الماء ولا يمكن ضبطها اثناء الطغيان.[1]

واستمرت اعمال الري هكذا زمن الجلائريين والتيموريين والصفويين فقد قام تيمورلنك اواخر القرن الرابع عشر باعمال تدميرية لا تقل بشاعة عما قام به هولاكو. فتبدد الامل بالاصلاح من توالي السيطرات الاجنبية والنكبات وسفك الدماء واضطراب حبل الامن الذي سببه تعاقب الحكومات الاجنبية المتعددة.

وقد عجزت هذه الاقوام عن اقامة حكومة مركزية قوية. فاهملت مشاريع الري طيلة تلك الفترة وانعدمت القدرة على تنظيمها والسيطرة عليها او الافادة منها.[2]

الري في العهد العثماني:

ولم يكن العثمانيين افضل من الذين سبقوهم بسبب عدم استقرار الحكومة وقلة الكفاءة في شؤون الري ولم يشهد عهدهم الطويل تقدم يذكر باستثناء بعض محاولات الاصلاح الذي قام بها بعض الولاة المصلحين في العهد العثماني المتأخر. ففي هذا العهد كانت الحملات العسكرية والفيضانات من اسباب هدر المياه، فكثيراً ما

كانت العشائر الثأئرة، تعمد الى كسر السداد وتحويل المياه الى الاهوار لتتحصن فيها. ومن جهتها كانت الحكومة تعمد الى سد مجاري الانهار بهدف تجفيف الارض ليسهل عليها التقدم لتحطيم تحصينات العشائر، وغلق مياه الشرب والسقي عن العشائر الثأئرة لتجبرها على الركوع لمشيئتها بعدما يموت الزرع والضرع. فقامت هذه السلطات في عهد الوالي مدحت باشا 1869–1871 م بغلق المياه عن مناطق الدغارة وعفك. فروى الشيخ صلال الموح رئيس عشائر الاكرع وعفك في مذكراته بان عشيرته رفضت تسليم الضرائب الى السلطة العثمانية لفداحتها وسوء جبايتها من قبل الموظفين الاتراك وقسوتهم علاوة على محاولة العثمانيين اذلال العراقيين لذا اعلنت عشائر الاكرع وعفك الثورة على العثمانيين وكبدتها خسائر فادحة في معاك متعددة الامر لذي اجبر الوالي مدحت باشا ان يقود العمليات بنفسه في منطقة الدغارة الا انه فشل في كسب المعركة. فامر بسد مصادر مياه الشرب والسقي عن العشائر الثأئرة ليجبرها على الركوع, واتى بشخص له معرفة باحوال شط الديوانية واستفسر منه عن المكان المناسب لسد شط الدغارة فساعده في ذلك وتم غلق الشط.[1]

وهكذا اهملت مشاريع الري ولم تحظى باهتمام السلطات العثمانية حتى استعان الوالي نامق باشا عام 1866 بمهندس متخصص بالري من مصر لتحسين القنوات المندرسة واحيائها.[1] وشهد عهد الوالي سري باشا محاولات اصلاح في مجال الري فقام بانشاء سد علي منفذ نهر السرية، وبما ان مياه شط الحلة قد اخذت تجف لتحولها الى شط الهندية، واستغاثة الناس في مناطة الحلة والديوانية من شحة المياه على طول نهر الحلة، بل ان قسم كبير من الساكنين على ضفتي هذا النهر قد هاجرت الى مناطق دجلة وخاصة الى مناطق الكوت في حين اضطر من بقي منهم الى ان يحفر ابار حتى داخل الشط بعدما جفت المياه فيه تماماً. ورفعت المضابط الى لوالي والى الصدر الاعظم في الاستانة لايجاد حل لهذه المشكلةواعادة المياه الى الشط المذكور. ونتيجة لذلك فقد اقدم الوالي سري باشا المهندس الفرنسي (شوندرفيه) ليضع حلاً لهذه الحالة. فاقام المهندس سد اطس في عام 1890 في منطقة الهندية سمي بسد (شوندرفيه) لايصال المياه الى شط الحلة، الا ان هذا الحل كان مؤقت، لان السد كان قد انهار بعد عشر عوام.[2]

وعندما وجدت السلطات العثمانية ان مشكلة الموارد المائية اخذت تتفاقم، وما لذلك من انعكاس على لوضع الاقتصادي والاجتماعي وما يصاحبها من مشاكل سياسية. تم انتداب الخبير ويلكوكس عام 1908 لدراسة الوضع واقتراح الحلول وبعد دراسة الموارد المائية قدم ويلكوكس تقريراً عام 1911، والذي يعد اول دراسة علمية للموارد المائية وطرق الافادة منها.[1] وتركزت دراسته على التخلص من خطر الفيضان، واشار الى ان الدعامة التي يشيد عليها رخاء العراق تستند على حمايته من اخطار الفيضان واكد انه ((اذا ما ضبطت فيضانات الفرات ودجلة ضبطاً حقيقياً ستبلغ، دلتا النهرين درجة من الخصوبة، لم يشهد التاريخ نظيرها)).[2] اقترح فتح قناة بالقرب من مدينة الرمادي، الى بحية الحبانية ومنخفض ابي دبس، اما بالنسبة الى دجلة فيجب فتح قناة عند سامراء الى منخفض الثرثار. وتضمنت مقترحات ويلكوكس بناء سدود عند بلد والكوت لرفع المياه في موسم الصيهود.[3]

وبناءاً على مقترحات ويلكوكس وتوصياته اسرعت السلطات الى تنفيذ بعضها فتم تشييد عدد من لنواظم لفروع الفرات عند الهندية، وانجاز سدة الهندية عام 1913 الامر الذي اعاد المياه الى نهر الحلة، فكان يوم الافتتاح مشهوداً في مدينة الحلة واقيمت الاحتفالات ابتهاجاً بعودة المياه اليها. فاشار احمد سوسة خبير الري لعراقي في مذكراته بان معظم الرجال في مدينة الحلة خرجوا الى موقع السدة ورافقوا تدفق المياه على ظهور الخيل فرحين مستبشرين حتى وصلوا الى الحلة وكانت النسوة والاطفال في انتظار المياه والرجال.. وما ان وصلت المياه حتى علت الزغاريد ونحرت الذبائح وعم الفرح.[4] ومن جهة اخرى بوشر

العمل في مشروع بحيرة الحبانية، لكن اندلاع الحرب العالمية الاولى ادى الى توقف العمل فيه. ومن الجدير بالذكر ان الدولة العثمانية، ظلت تفتقر الى قانون تنظيم الموارد لمائية وادارتها حتى صدور قانون الري عام 1914، قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى ببضعة اشهر. وعندما دخلت الدولة العثمانية في هذه الحرب الى جانب المانيا، غزت القوات البريطانية العراق، واخذت تتقدم باراضيه نحو الشمال بعد ان خاضت عمليات عسكرية الحقت باراضيه وبشبكات الري اضراراً جسيمة.[1] ولما كانت مسألة تموين قواتها تشغل بالها فقد اخذت سلطات الاحتلال تهتم بشؤون الري في العراق على امل تطوير زراعته لسد احتياجات قواتها من المواد الغذائية. ومن الجدير بالذكر ان اهتمام بريطانيا بالعراق يرجع الى القرن الثامن عشر وازداد في القرن التالي– ولم تقتصر على موقع العراق وموارده، بل على ارضه ومياهه.[2]

وكان الاعتقاد السائد في بريطانيا في بداية القرن العشرين ان العراق يمتلك امكانيات اقتصادية لا حدود لها، ويمكن ان يصبح منطقة تجارية مهمة، وفي عام 1903 نشر ويلكوكس خططاً لتطوير الري في العراق. واكدت ان نجاح مشاريع الري يعتمد على تسويق المحاصيل الزراعية التي سيتم زراعتها جراء هذه المشاريع الى الاسواق الاوربية، لذا فالحاجة الى مد سكة من بغداد الى الاسكندرية على سواحل البحر المتوسط ستكون اساسية لنجاح مثل هذه المشاريع المقترحة.[3]

وقد اعطى ادوردكري وزير الخارجية البريطانية، الذي اقلقه اهتمام الالمان بنشر خطط لتطوير مشاريع الري في العراق،[1] واهتمام القيصر الالماني واماله في ان تعمل المانيا في العراق ما عملته بريطانيا في مصر، دعمه لمقترحات ويلكوكس واكد ضرورة الاخذ بها في اية تسوية مقترحة مع الدولة العثمانية والمانيا.[2] والحق كانت خطة بريطانيا تهدف الى منع المانيا وفرنسا من الحصول على أي امتياز لتشييد مشاريع الري المقترحة في العراق وتهدف في الوقت نفسه الى التغلغل ((السلمي)) في العراق. وذلك بالحصول على امتياز تشييد مشاريع الري في العراق، وجلب الهنود الى العراق للاستيطان به من جملة الحلول لانهاء ازمة زيادة السكان في الهند واستخدام كأيد عاملة في هذه المشاريع وتوفير الغذاء للحاميات الهندية في الشرق الاوسط.[3] وعلى كل حال فقد طلبت بريطانيا من سفارتها في العاصمة العثمانية مراقبة الاجراءات العثمانية الخاصة بري العراق.[4] وعندما اعلنت الحكومة العثمانية في عام 1908، عن عزمها على بناء سدة الهندية دعمت الحكومة البريطانية احدى شركاتها للحصول على هذا الامتياز وعدت تعيين ويلكوكس خبيراً للحكومة العثمانية لشؤون الري في ذلك العام امراً في غاية الاهمية للمصالح البريطانية في العراق لان هدف السياسة البريطانية يكمن في احتكار العراق لنفسها.[5] وعندما اعلنت الحكومة العثمانية خطتها في ترميم سدة الهندية القديمة حذرت بريطانيا الحكومة العثمانية بعد منح هذا الامتياز الى الشركات الفرنسية وطلبت من سفيرها في اسطنبول الحصول على ضمان من الحكومة العثمانية بعدم منح امتيازات مشاريع الري في العراق الا لمناقصين بريطانيين.[1] فضلاً عن ذلك، تحقق السفير البريطاني في العاصمة العثمانية من وزير الاشغال العثماني في نيسان 1911 من ان الحكومة العثمانية على وشك البدء بعرض مناقصات مشاريع للري في العراق تتضمن فتح قناة جديدة في الرمادي واصلاح سدة الهندية القديمة وبناء ناظم في الفلوجة. واكد وزير الاشغال العامة للسفير ان حكومته تأمل في بناء سد عام 1911 في الفلوجة واخرى في الكوت وانشاء قنوات بكلفة تقدر بين مليونين الى ثلاثة ملايين جنيه استرليني. ويعزى تزايد الاهتمام البريطاني بمنح مشاريع الري في العراق الى شركات بريطانية الى ضعف اهتمام بريطانيا بمشروع سكة حديد برلين– بغداد وفشلها في السيطرة عليه. لذلك اعلنت بريطانيا عن تخليها عن طلبها في المساهمة في مشروع سكة حديد بغداد مقابل منح الشركات البريطانية امتيازات وعقوداً خاصة بمشاريع الري في

العراق واكد المفاوضون البريطانيون خلال المفاوضات البريطانية والالمانية ان خيارهم الاول ينصب على مشاريع الري المقترحة في العراق التي تقدم الها مناقصون بريطانيون.[2] وبعد ان توصلت بريطانيا والمانيا الى اتفاق بشأن سكة حديد برلين– بغداد في 5 حزيران 1914، اوضح كري للسفير الالماني في لندن لشتوفسكي عن مخاوف حكومته من وقوع الري ومشاريعه في العراق بيد الالمان وكشف عن رغبة بريطانيا في احتكار مشاريع الري في العراق مقابل عدم معاضتها احتكار المانيا لمشاريع الري في سهول ادنه.[3] ولهذا فليس من المستغرب ان تقوم سلطات الاحتلال البريطاني بوضع الموارد المائية وتنظيماتها تحت ادارتها مباشرة، وبهدف التوفير السريع للغذاء لجيوشها المحتلة للعراق قامت سلطات الاحتلال بتنفيذ مشاريع صغيرة خلال الحرب العالمية الاولى.

الخاتمة

يؤثر الري تأثيراً مباشراً على حياة الناس الاجتماعية والاقتصادية. لذا اهتمت المجتمعات بشؤون الري.

ويعد العراقيون القدماء اول من استخدم طرق الري المستديم بشكل علمي مدروس، لا سيما ان العراق يمتلك ارض زراعية خصبة واسعة ومياه وفيرة، يعوزها التنظيم فقط.

وبما ان العراقيين عرفوا بالعمل والنشاط لذا نظموا شؤون الري وسخروا مياه دجلة والفرات بوقت مبكر. لاستغلال خيرات سهل الرافدين امثل استغلال. فضلاً عن انهم استخدموا المنخفضات الطبيعية لدرء اخطار الفيضان، او استخدامها كخزانات للمياه استغلالها اوقات الصيهود. او استخدامها كمصدات ضد القوات الغازية للعراق. وكما هو معلوم تكون امور الري متقدمة ومتطورة حينما يكون في العراق دولة موحدة قوية وطنية. في حين ان امور الري تتدهور في مراحل التدهور والسيطرة الاجنبية كما لوحظ في فترة السيطرة المغولية.

المصادر– الكتب العربية–

1– ابو يوسف، كتاب الخراج، لقاصرة، 1304 هـ

2– احمد سوسة، تطور الري في العراق، بغداد، 1946.

3– ، ري سامراء في عهد الخلافة العباسية، جـ[1]، بغداد، 1984.

4– ، الري والحضارة في وادي الرافدين، بغداد، 1969.

5– ، حياتي في نصف قرن، بغداد، 1986.

6– ، وادي الفرات ومشروع سدة الهندية، بغداد، 1945.

7– الازدي، تاريخ الموصل، القاهرة، 1967.

8– البلاذري، فتوح البلدان، القاهرة، 1959.

9– بيل، العراق في رسائل المس بيل، ترجمة جعفر الخياط، بيروت، 1977.

10– حميد نشأت اسماعيل، لمحة ميدانية من الزراعة الاروائية في العراق، بغداد، 1990.

11– الحميري، الارض المعطاء في خبر الاقطار، بيروت، 1985.

12– صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، بغداد، 1959.

13– صلال الفاضل الموح، مذكرات الحاج صلال الفاضل الموح، بغداد، 1986.

14– الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ليدي، 1881.

15– عبد العزيز الدوري، تاريخ لعراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بغداد، 1948.

16– عبد العزيز نوار، المصالح البريطانية في انهار العراق، 1600–1914، القاهرة، 1986.

17– عواد مجيد الاعظمي، الامير مسلمة بن عبد الملك بن مروان، بغداد، 1980.

18– عواد مجيد الاعظمي، تاريخ الري في وادي الرافدين في عصر صدر الاسلام حتى نهاية العهد العباسي، بغداد، 1985.

19– محمد احمد الخوازمي، مفاتيح العلوم، القاهرة، 1978.

20– وليم ولكوكس، تقرير عن لعراق، بغداد، دت.

21– وليم ولكوكس، من جنة عدن الى عبور نهر الاردن، ترجمة محمد الهاشمي، بغداد، 1929.

22– يقظان سعدون العامر،نشاط شركة الهند الشرقية في البصرة، البصرة، 1990.

23– اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، النجف الاشرف، 1939.

الكتب الاجنبية:

1-Charles Issawi, The Economic History of the Middle East, 1800-1914. (The University of Chicago press, 1966).

2-Cohen, S.A., Brittish Policy in Mesopotamia 1903-1918 (London, 1976).

البحوث والدراسات:

المنشورة

1– الاب بطرس حداد، رحلة كيبون الى العراق، مجلة المورد، مجلد 22، العدد 3،1983.

2– جعفر حسين حضبال، الري في العهد السلجوقي، مجلة الاداب، العدد 18، 1974.

غير المنشورة

1- نوري العاني، تاريخ الموارد المائية في العراق الحديث، محفوظ لدى مكتبة المؤلف.

2-Leobon, T.H.G., The New Irrigation ena in Iraq Economic Geography, No.1, Vol. (January 1955).

الرسائل والاطاريح:

1- عبد المجيد صالح الكبيسي، عصر هشام بن عبد الملك، رسالة ماجستير غير منشـــورة، كليـــة الاداب، جامعة بغداد، 1980.

2- ناجية عبد الله، ريف بغداد، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، جامعة بغداد، 1981.